



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"بهار" هو النص الأسبوعي التاسع من كتاب "فقيرا" (أي سفر اللاويين) ويبدأ هذا النص الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الخامس والعشرين وينتهي بالآية الثانية من المقطع السادس والعشرين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

النَّظَرُ إِلَى الْبَعِيدِ

في النصين التوراتيين الأسبوعيين "إمور" و"بهار"، توجد وصيتان متشابهتان إلى حد كبير، وكلتاها تتعلقان بحساب الوقت وتنظيمه في حياة الإنسان والعبادة. ففي النص التوراتي إمور، نقرأ عن عدّ الـ"عומר"، وهو طقس ديني في اليهودية يقوم على العدّ اللفظي لكل يوم من الأيام التسعة والأربعين، أي سبعة أسابيع كاملة، تبدأ من اليوم الثاني لعيد الـ"بيسح" (عيد الفصح اليهودي) وتنتهي في عيد الـ"شّفوعوت" (عيد الأسابيع)، كما ورد في الآية الخامسة عشرة والآية السادسة عشرة من المقطع الثالث والعشرين من سفر اللاويين:

"واخضوا لكم، من غد العطلة، من يوم جئتم بغمر التّخريك، سبعة أسابيع، تامّة تكون: وإلى غد الأسبوع السّابع، فيكون جُمْلُهُ ما تحصونه خمسين يوماً، وقربوا قرباناً جديداً لله".

وفي النص التوراتي الأسبوعي "بهار"، نقرأ عن عدّ السنين حتى سنة اليوفيل/اليوبيل*، كما ورد ابتداءً من الآية الثامنة وانهاءً بالآية العاشرة من المقطع الخامس والعشرين من سفر اللاويين:

"ثمّ أخصّ سبعة سنيّ (سنين) عطلة، وتلك السبع سنين، سبعة مزار، فتصير جُمْلُهُ ذاك، تسعاً وأربعين سنة: واضرب ببوق مُجْلِب، في اليوم العاشر من الشهر السّابع، وهو يوم الغفران، اضربوا فيه بالبوق، في جميع بلادكم. وقدسوا هذه سنة الخمسين، سنة الإطلاق، ونادوا بعثق في البلد لجميع أهلِهِ، فتكون لكم إطلاقاً، يزجّع فيها كلُّ امرئٍ إلى حوزِهِ وإلى عَشِيرَتِهِ".

*ملاحظة توضيحية من المترجم: يُقصد بـ"اليوفيل/اليوبيل" السنة الخمسين في الشريعة اليهودية، وهي سنة مقدّسة تُعلن في يوم كيبور (يوم الغفران)، حين يُضرب بالبوق إعلاناً لبدء عام جديد من التحرّر والمغفرة والتجدّد. في تلك السنة يُعتق العبيد فينعمون بحريّتهم، وتُعاد الأراضي إلى أصحابها الأصليين، وتُسقط الديون عن المدينين، وكان الشعب بأكمله يعود إلى نقطة البداية، فتجدّد روحه في أجواء من المساواة والعدالة. إنّ اليوفيل/اليوبيل يذكر الشعب بأنّ الأرض وما عليها لله عزّ وجلّ، وأنّ الإنسان مؤتمنٌ عليها لا مالكٌ مطلقٌ لها، ليعيش في كنفها بروح المسؤولية والتقوى.

النَّظَرُ إِلَى الْبَعِيدِ

ومع ذلك، هناك فرقٌ جوهريٌّ واحدٌ بين العدِّ المذكور في النصِّ الأول وبين العدِّ في النصِّ الثاني، وهو فرقٌ غالباً ما يُغفل في الترجمة. فعَدُّ الـ"عومر" للأسابيع السبع يَرِدُ بصيغة الجمع في الآية الخامسة عشرة من المقطع الثالث والعشرين من سفر اللاويين: "وُسْفَرْتُمْ لآخِم"، أما عَدُّ السنين في سفر اللاويين، فيَرِدُ بصيغة المفرد في الآية الثامنة من المقطع الخامس والعشرين من سفر اللاويين: "فُسْفَرْتَ لِيَا".

وقد فسّرت الشريعةُ الشفويةُ اليهوديةُ (أي التراثُ التفسيريُّ والفقهِي المنقولُ شفهيًّا عبر الأجيال، والمجموعُ لاحقاً في الـ"مشناه" والتلمود) هذا الاختلافُ بأنَّه يُشير إلى مَنْ يتوجَّب عليه القيام بالعدِّ. ففي حالة عَدِّ الـ"عومر"، تقعُ مسؤوليةُ العدِّ على كلِّ فردٍ من أبناء الشعب اليهوديِّ، كما ورد في باب "منحوت" 65 ب من التلمود، ولذلك جاء النصُّ بصيغة الجمع.

أما في حالة اليُوفيل/اليوبيل، أي السنة الخمسين، فالعدُّ هو مسؤولية "بيت دين"، أي المحكمة الدينية، وخصوصاً السنهدرين، أي المحكمة العليا، الذي يمثِّل الشعب بأسره ويقوم بالعدِّ نيابةً عنهم، ولهذا جاء الفعل بصيغة المفرد.¹

ويمكن خلفَ هذا الفرق مبدأٌ عظيمٌ من مبادئ القيادة: وهو أنَّ الأفرادَ يَعُدُّون الأيام، أمَّا القادةُ فيَعُدُّون السنين. إذ يُمكن للأشخاص العاديين الاكتفاء بالتفكير في الغد القريب، لكن يتوجَّب على القادة التفكير في المستقبل البعيد، وأن تبقى أبصارهم شاخصةً نحو الأفق البعيد. وفي باب "تاميد" 32 أ من التلمود، يسأل الحاخام بن زوما: "مَنْ هو الحكيم؟" ثمَّ يجيب فوراً: "هو مَنْ يتوقَّع العواقب". فالقادة، إن كانوا حكماء، يفكِّرون في تأثير قراراتهم على العالم بعد سنواتٍ طويلة من لحظة اتخاذها. وفي هذا السياق، تشتهر إجابة الرعيِّم الصيني تشو إن لاي حين سُئل في سبعينيات القرن العشرين عن رأيه في الثورة الفرنسية التي وَقَعَتْ 1789، فقال: "من المبكر جداً أن نحكم عليها".²

يعجُّ التاريخُ اليهوديُّ بأمثلةٍ كثيرةٍ على هذا التفكير بعيد المدى. ففي النصِّ التوراتيِّ "بوا"، حين وجَّه نبيُّ الله ورسوله موشيه/موسى أنظارَ بني إسرائيل، عشيةَ خروجهم من أرض مصر، إلى كيفية سَرْدِ قصَّة الخلاص لأبنائهم في السنوات القادمة، كان يُوسِّس لتحويل الديانة اليهودية إلى ديانةٍ تقوم على التعليم والدراسة وحياة العقل، وهذه الأسس هي من أعمق وأقوى الرؤى وأكثرها إلهاماً في فكر الديانة اليهودية.

وفي سفر دفاريم، أي سفر التثنية، يُظهر نبيُّ الله ورسوله موشيه بصيرةً مدهشة؛ إذ يُنبئ بني إسرائيل إلى أنَّ التحديَّ الحقيقيَّ لن يكون في العبودية بل في الحرية، وليس في الفقر بل في الثراء، وليس في التشرد بل في الاستقرار في أرضهم الموعودة. لقد استشرَف نبيُّ الله ورسوله موشيه، قبل نحو أَلْفِي عامٍ ما سيقوله المؤرِّخ المسلم الذي عاش في القرن الرابع عشر ابن خلدون، الذي لاحظ أنَّ الجماعات والمجتمعات، كلِّما ازدهرت ونجحت، تصبح مهدَّدةً بفقدان العصبية، أي روح التضامن الاجتماعيِّ والتلاحم بين أفراد الجماعة. وللحيلولة دون وقوع ذلك، وضعَ نبيُّ الله ورسوله موشيه نهجَ وأسسَ حياةً مبنيةً على العهد والذاكرة والمسؤولية الجماعية والعدل والرعاية الاجتماعية والشمول. وهذا النهج الذي وضعه، يُمثِّلُ إلى يومنا هذا، أعظمَ طريقةٍ وُضِعَتْ لبناءِ مجتمعٍ مدنيٍّ قويٍّ.

1. Sifra, Leviticus, Behar, 2:2; Mishneh Torah, Hilkhot Shemitta VeYovel 10:1.

2. Truth to tell, the conversation was probably not about the Revolution in 1789 but about the Paris students' revolt of 1968, just a few years earlier. Still, as they say, some stories are true even if they did not happen.

في الواقع، يُرجَّح أنَّ الحوار كان يدور حول انتفاضة طلاب باريس سنة 1968 التي وَقَعَتْ قبل بضع سنوات فقط من ذلك الحوار. لا عن ثورة 1789، غير أنَّ هذه الحكاية، وإن كانت تُشير إلى زمنٍ آخر، تبقى مثلاً صادقاً على الأثر بعيد المدى للأفعال.

وحين ذهب شعبُ مملكة يهوذا، التي كانت تقع في جنوب أرض إسرائيل، إلى المنفى في بابل، تجلّت بصيرة النبي يرمياهو/إرميا في رسالته إلى المسبيين، كما ورد ابتداءً من الآية الأولى وانتهاءً بالآية الثامنة من المقطع التاسع والعشرين من سفر إرميا؛ إذ وضع النبي يرمياهو لهم أولَ تصوّرٍ لفكرة "الأقلية الخلاقة"، أي الجماعة الصغيرة الملتزمة التي تُحافظ على هُويتها في المنفى وتعمل في الوقت نفسه لخير المجتمع ككل. فقد دعاهم إلى أن يبنوا البيوت ويغرسوا الكروم، وأن يتزوجوا ويُنجبوا أبناءً وبناتٍ ليكثروا من أعدادهم هناك، وأن يسعوا لسلام المدينة التي يعيشون فيها، لأنّ سلامها من سلامهم، ووعدهم بأنهم في نهاية المطاف سيعودون يومًا إلى أرض صهيون. وقد كانت هذه الوصفة فريدةً في تاريخ الأديان، وظلّت تُلهمُ الجماعات اليهودية في المنفى على مدى ستّة وعشرين قرنًا.

وفي القرن الخامس قبل الميلاد، حين جمع عزرا ونحُمياهُ/نحميا الشعبَ عند باب الماء في أورشليم القدس، وأقاما لهم أولَ ندوةٍ لتعليم الكبار في التاريخ، كما ورد في المقطع الثامن من سفر نحُميا، كانا بذلك يُشيران إلى حقيقةٍ لم تتّضح إلّا بعد قرونٍ، في العصر الهلنستي: وهي أنّ المعركة الحاسمة التي ستُحدّد مستقبل الشعب اليهودي كانت معركةً ثقافيّةً لا عسكريّةً. فقد انتصر المكابيون عسكريًا على الإمبراطورية السلوقية، لكنّ المملكة الحشمونية التي نشأت بعد ذلك أصبحت تدريجيًا هي نفسها متأثرةً بشكلٍ بالغٍ بالثقافة الهلنستية.

حين قال الحاخام يوحنا بن زكاي للقائد الروماني فسباسيان الذي كان يقود الحصارَ على أورشليم القدس: "أعطني مدينةً يفنّه وحُكماءها"، كما ورد في التلمود في باب "غيتّين" 56 ب، كان في الحقيقة يُنقذ مستقبلَ الشعب اليهودي، إذ ضَمِن أن يبقى هناك منبعٌ حيٌّ للقيادة الروحية والفكرية.

كان حاخامات القرنين الأول والثاني من بين أكثر القادة اليهود الذين تميّزوا ببصيرةٍ مدهشةٍ وبعيد النظر، إذ هم الذين نظّموا التقاليد العظيمة للشريعة الشفوية وجمعوها في بنية منهجية، والتي أصبحت هي لاحقًا الـ"مِشناه" ثمّ الـ"تلمود". وهم الذين حوّلوا دراسة النصوص إلى ثقافة دينيّة متكاملة، وهم الذين صاغوا بنية الصلاة لتُصبح نموذجًا موحدًا تتّبعه الجماعات اليهودية في أنحاء العالم، وهم الذين وضعوا منظومة الـ"هالاخاه" الدقيقة بوصفها "سياجًا حول الشريعة"، كما ورد في مِشناه آفوت 1:1. لقد أنجزوا ما لم يُنجزه أيّ قادة دينيين آخرين في التاريخ، إذ وضعوا نهج حياةٍ بوسعه أن يُبقي أمةً بأكملها متّحدةً في المنفى والشتات طوال أُلّي عام.

وفي أوائل القرن التاسع عشر، حين بدأ حاخاماتٌ مثل تسفي هيرش كالِشر ويهوده الكلاي يدعون إلى العودة إلى صهيون، ألهموا شخصياتٍ علمانيةٍ مثل موشيه هِس، ويهوده لايب بينسكر، وثيودور هرتزل، بل وأثروا حتى في أشخاصٍ غير يهود مثل الكاتبة جورج إليوت التي كانت روائيةً "دانيال ديروندا" (1876) من أوائل الروايات ذات الطابع الصهيوني. وقد ضَمِنَت تلك الحركة أن ينضمّ إلى أولئك اليهود الذين بقُوا هناك جماعاتٌ يهوديةٌ أخرى جاءت لتستوطن الأرض وتُبنى عليها، فمهدت بذلك الطريق لقيام دولةٍ إسرائيل بعد ذلك بسنوات.

حين دعا رؤساء الـ"يشيفوت" (المدارس الدينية) وقادة الحركة الحسيدية من بقي من أتباعهم بعد المحرقة إلى الزواج وإنجاب الأطفال وإعادة بناء عالمهم المدمر، أسسوا لجيلٍ جديدٍ أصبح اليوم المُكوّن الأسرع نموًا في الحياة اليهودية. وبفضلهم، أصبح يوجد اليوم، على مرأى من الجيل الذي لا يزال يتذكّر الخراب الكامل لمراكز التعليم اليهودي الكبرى في أوروبا الشرقية، عددٌ من الطلاب الذين يدرسون في الـ"يشيفوت" والمعاهد الدينية يفوق أيّ وقتٍ مضى في تاريخ الشعب اليهودي، أكثر ممّا كان عليه الحال في أيّام المدارس الدينية الكبرى في القرن التاسع عشر مثل فالوجين، بانيفيزيس، ومير، بل وأكثر ممّا كان في أيّام أكاديميّتي صورا وبومبيديتا اللتين أنتجتا التلمود البابلي.

إنّ القادة العظام هم أولئك الذين يُفكّرون بعيدًا ويَبنونَ من أجل المستقبل، لكنّ هذا النهج من التفكير أصبح نادرًا للغاية في الثقافة العلمانية المعاصرة التي تُركّز بشكلٍ مبالغٍ فيه على اللحظة الراهنة، وتتسم بقصر الانتباه، وسرعة تغيير الأذواق، وبظاهرة الحشود الخاطفة (فلاش موب)، وبالرسائل القصيرة والمنشورات والتغريدات، وبالسعي وراء "خمسة عشر دقيقةً من الشهرة"، وبالانشغال بالعناوين الرئيسية في أخبار اليوم وبـ"قوة الآن".

ومع ذلك، فإنَّ القادة الحقيقيين في عالم الأعمال اليوم هم أولئك الذين يخوضون أطولَ المعارك على المدى البعيد، مثل بيل غيتس مؤسس مايكروسوفت، وجيف بيزوس مؤسس أمازون، ولاري بايج وسيرجي برين مؤسسي غوغل، ومارك زوكربيرغ مؤسس فيسبوك، وجميعهم كانوا مستعدين للانتظار طويلاً قبل أن تُحقّق مشاريعهم أرباحاً. فشركة أمازون، مثلاً، انطلقت سنة 1995، ولم تُحقّق أرباحاً إلا في الربع الأخير من عام 2001. وحتى بالمقاييس التاريخية، كانت هذه أمثلة استثنائية على التفكير والتخطيط البعيد المدى.

ومع أنّ هذه أمثلة علمانية، ورغم أنّه لم يعد لدينا أنبياء منذ تدمير الهيكل الثاني، فإنَّ القدرة على استشراف المستقبل ومعرفة عواقب الأمور ليست أمراً غامضاً أو خارقاً، بل هي ثمرة فهم عميقٍ للماضي وتأملٍ دقيقٍ في دروسه. لقد قضى المستثمر الأمريكي الشهير وارن بافيت، أحد أبرز رواد الاستثمار في التاريخ، سنواتٍ طويلة منذ شبابه في قراءة التقارير المالية للشركات عامّاً بعد عام، حتى طوّر قدرة مذهلة على تمييز الشركات التي تملك مقومات النمو والاستمرار. وكان وارن بافيت يُحدّر، منذ عام 2002، أي قبل خمس سنواتٍ من الانهيار المالي العالمي، من أدوات مالية معقدة مثل المشتقات وتوريقي المخاطر، واصفاً إياها بأنّها "أسلحة دمارٍ شاملٍ مالية"، لأنّها قد تُدمّر الأنظمة الاقتصادية إذا انهارت،³ وهي نبوءة علمانية قد تحقّقت لاحقاً، لكنها لم تلقَ آذاناً صاغية حين أُطلقت.

طوال سنواتي في الحاخامية الكبرى، كان فريق العمل الخاص بنا - إذ كنتُ أومن دائماً أنّ القيادة عملٌ جماعي - يسأل باستمرار: كيف سيؤثّر ما نفعله اليوم على المجتمع اليهودي بعد خمس وعشرين سنة؟ كانت مهمتنا هي البناء لا من أجل أنفسنا أو جيلنا، بل من أجل أبنائنا وأحفادنا. وكان التحدي الأكبر هو الانتقال من مجتمع يفتخر بماضيه إلى مجتمع يُركّز على مستقبله، ولهذا اخترنا أن نعبر عن رسالتنا في شكل سؤال: هل سننجح في أن نكون لنا أحفاداً يهوداً، أي أجيالاً آتية تُواصل المسيرة؟

إنَّ التحدي القيادي الذي يبرز في هذا النص التوراتي الأسبوعي "بهار" هو عدُ السنين لا الأيام، أو بعبارة أخرى: أن نحافظ على وفائنا لماضيّنا، وأن نُبقي أعيننا مثبتة على المستقبل.

3. Warren Buffet, "What Worries Me," *Fortune*, March 3, 2003, available at <http://www.tilsonfunds.com/BufettWorries.pdf>.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



f t i n | RABBISACKS.ORG